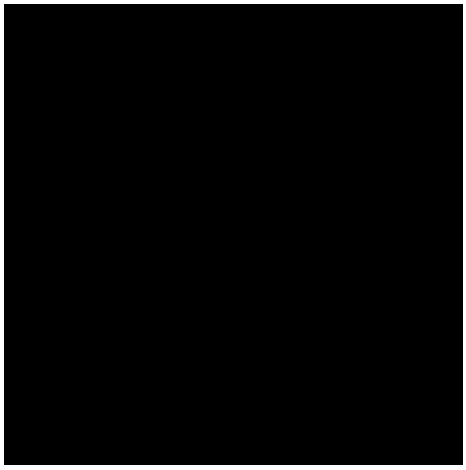

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الدراسات العليا

الماجستير

العلة عند المحدثين

ا.د . خالد حماده صال

يجدر بنا ونحن نتناول كتابا من كتب العلل بالدراسة والتحقيق أن نتعرف على معنى العلة في اللغة والاصطلاح ، وقد جعلت هذا المدخل في مطلبين:

المطلب الأول العلة في اللغة

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة : عل: العين واللام أصول ثلاثة صحيح:

أحدها : تكرار أو تكرير

والثاني : عائق يعوق

والثالث: ضعف في الشيء

فالأول : العلل، هو الشربة الثانية ، ويقال : علل بعد نهل ، ويقال (أعل القوم) إذا شربت إبلهم عللا ، قال ابن الأعرابي في المثل : ما زيارتك إيانا إلا سوم عالة، أي مثل الإبل التي تعل ، وإنما قيل هذا لأنها إذا كرر عليها الشرب كان أقل لشربها الثاني والثالث العلة المرض وصاحبها معتل قال ابن الأعرابي عل المريض يعل فهو عليل .

وقال في القاموس اعتله وأعله الله –تعالى– فهو معل وعليل ولا تقل معلول والمتكلمون يقولونها ولست منه على ثلج وقال في اللسان إنما هو أعله الله فهو معل إلا أن يكون على ما ذهب إليه سيبويه من قولهم مجنون ومسلول من أنه جاء على جننته وسللته .

والمحدثون يطلقون على الحديث الذي في عله معلول (وكذا وقع في كلام البخاري والترمذي الدارقطني والحاكم وغيرهم) وقد أنكر بعض العلماء هذا كما سبق في اعتراضهم على المتكلمين (وقال إن المعلول في اللغة اسم مفعول من عله إذا سقاه السقية الثانية وتعقبهم آخرون فقالوا قد ذكر في بعض كتب اللغة عل الشيء إذا أصابته علة فيكون لفظ معلول هنا مأخوذا منه

قال ابن القوطية (عل الإنسان مرض والشيء أصابته العلة فيكون استعماله بالمعنى الذي أرادوه غير منكر بل قال بعضهم استعمال هذا اللفظ أولى لوقوعه في عبارات أهل الفن مع ثبوته لغة ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال ابن هشام في شرح بانت سعاد :

(تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت

كأنها منهل بالراح معلول))

والراجح في هذه المسألة أن معلول موفق للغة ومنسجم مع قواعدها إذا كان مشتقا من عله بمعنى سقاه الشربة الثانية وهو معنى معلول في الشاهد الذي ذكره ابن القوطية وليس كما أراده شاهدا للعلة بمعنى المرض لأن معلول في البيت مرتبط بمنهل والمنهل هو المورود في المرة الأولى والمعلول هو المورود في المرة الثانية

ولما كان من معاني عل في أصل اللغة الشربة الثانية كما ذكر ابن فارس في معنى هذه المادة فيكون هذا الاستعمال لا غبار عليه لا في اللغة ولا في الاصطلاح وتكون العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي أن العلة ناشئة عن إعادة النظر في الحديث مرة بعد مرة

وكما يقال معلول بهذا المعنى فإنه يقال معل لما دخل على الحديث من العلة بمعنى المرض وأما استعمال معلل فلا تمنعه القواعد إذا كان مشتقا من عللله بمعنى ألهاه به وشغله ويكون معنى الحديث المعلل هو الحديث الذي عاقته العلة وشغلته فلم يعد صالحا للعمل به

المطلب الثاني العلة في اصطلاح المحدثين

تقاربت عبارات أهل المصطلح في تعريفهم العلة في الحديث وأول كتاب ذكر تعريفا للعلة هو معرفة علوم الحديث للحاكم وقد قال فيه وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل ويقول الحاكم أيضا وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل .

وهذا من الحاكم محاولة أولى لتحديد مفهوم عام للعلة ولا يمكن أن نسميه حدا بما يحمله الحد من الضوابط كما يلاحظ في كلام الحاكم قصر العلة على ما لا مدخل للجرح والتعديل فيه وهو مخالف لمنهج كتب العلل التي احتوت على علل سببها جرح الراوي وسيأتي الكلام على هذا .

وجاءت عبارة أبي عمرو بن الصلاح أكثر تحديدا من عبارة الحاكم فقال المعلول هو الذي أطلع فيه على عله تقدح في صحته مع أن ظاهره السلامة منها ويتطرق ذلك إلى الإسناد الذي رجاله ثقات الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر

وفي هذا التعريف دور لأنه أدخل العلة في تعريف المعلول إلى جانب أنه ذكر علة الإسناد ولم يشمل هذا التعريف علة المتن التي لا تقل أهمية عن علة الإسناد

وأما الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (ت ٨٠٤هـ) فقد عرف العلة بقوله العلة عبارة عن أسباب خفية غامضة طرأت على الحديث فأثرت فيه أي قدحت في صحته ويلاحظ على هذا التعريف تكرار الألفاظ فيه وقوله طرأت يشعر بأن الحديث كان في أصله صحيحا وليس ذلك بلازم إذ قد تدخل العلة على الحديث الصحيح وقد يكون الحديث من أصله معلولا كأن يظهر بعد البحث أن الحديث لا أصل له وإنما أدخل على الثقة فرواه

وقد نقل برهان الدين البقاعي (ت ٨٥٥هـ) في نكتة على ألفية العراقي كلاما آخر للعراقي جاء فيه والمعلل خبر ظاهره السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح وأما الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) فقد ذكر في تعريف المعلل أثناء كلامه على أنواع الضعيف فقال ثم الوهم إن اطلع عليه بالقرائن وجمع الطرق فهو المعلل ولا يصلح هذا لأن يكون حدا للعلة إذ هو بيان لطرق الكشف عن العلة

وما نختاره من هذه التعاريف هو ما نقله البقاعي عن العراقي والمعلل خبر ظاهره السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح وهو تعريف جامع مانع .

وجاءت عبارة أبي عمرو بن الصلاح أكثر تحديدا من عبارة الحاكم فقال المعلول هو الذي أطلع فيه على عله تقدح في صحته مع أن ظاهره السلامة منها ويتطرق ذلك إلى الإسناد الذي رجاله ثقات الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر

وفي هذا التعريف دور لأنه أدخل العلة في تعريف المعلول إلى جانب أنه ذكر علة الإسناد ولم يشمل هذا التعريف علة المتن التي لا تقل أهمية عن علة الإسناد

وأما الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (ت ٨٠٤هـ) فقد عرف العلة بقوله العلة عبارة عن أسباب خفية غامضة طرأت على الحديث فأثرت فيه أي قدحت في صحته ويلاحظ على هذا التعريف تكرار الألفاظ فيه وقوله طرأت يشعر بأن الحديث كان في أصله صحيحا وليس ذلك بلازم إذ قد تدخل العلة على الحديث الصحيح وقد يكون الحديث من أصله معلولا كأن يظهر بعد البحث أن الحديث لا أصل له وإنما أدخل على الثقة فرواه .

وقد نقل برهان الدين البقاعي (ت ٨٥٥هـ) في نكتة على ألفية العراقي كلاما آخر للعراقي جاء فيه والمعلل خبر ظاهره السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح وأما الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) فقد ذكر في تعريف المعلل أثناء كلامه على أنواع الضعيف فقال ثم الوهم إن اطلع عليه بالقرائن وجمع الطرق فهو المعلل ولا يصلح هذا لأن يكون حدا للعلة إذ هو بيان لطرق الكشف عن العلة .

هناك تعريف للجرجاني للعلة يقول فيها : هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثرا فيه .

وما نختاره من هذه التعاريف هو ما نقله البقاعي عن العراقي والمعلل خبر ظاهره السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح وهو تعريف جامع مانع.

وفيما يلي بيان لعناصر هذا التعريف يوضح أسباب اختياره

(أ) في قوله خبر ذكر لعلة السند وعلة المتن لأن الخبر يشمل السند والمتن .

(ب) وفي قوله ظاهرة السلامة بيان أن العلة تكون في الحديث الذي رجاله ثقات الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر .

(ج) قوله اطلع فيه بعد التفتيش دليل على خفاء القادح وعلى إمعان النظر ولا يكون ذلك إلا من الناقد الفهم العارف .

(د) وقوله على قادح تعميم لأسباب العلل لتشمل العلل التي مدارها الحرج وتلك الناشئة عن أوهام الثقات وما يلتبس عليهم ضبطه من الأخبار وبذلك يكون هذا التعريف مطابقا لواقع كتب العلل التي اشتملت على أحاديث كثيرة أعلت بجرح راو من رواتها.